القسم الثاني

وسطية القرآن الكريم
في العقائد

خطة الجزء الثاني
وسطية القرآن الكريم في العقائد

قمت بتقسيم هذا الجزء إلى سبعة فصول:

الفصل الأول: القرآن يقرر منهج الوسطية.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالقرآن.

المبحث الثاني: وسطية القرآن في العقيدة.

الفصل الثاني: وسطية القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: موقف أمة اليهود.

المبحث الثاني: موقف النصارى.

المبحث الثالث: موقف المسلمين.

المبحث الرابع: مفهوم الإيمان كما جاء في القرآن.

الفصل الثالث: الملائكة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: صفات الملائكة الخلقية.

المبحث الثاني: علاقتهم مع الله والإنسان والكون وعددهم.

الفصل الرابع: في الكتب السماوية.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحريف اليهود وتزويرهم.

المبحث الثاني: تحريف النصارى للإنجيل.

المبحث الثالث: وسطية القرآن بين الكتب السماوية.

الفصل الخامس: وسطية القرآن في أنبياء الله ورسله.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف اليهود من أنبياء الله ورسله.

المبحث الثاني: موقف النصارى.

المبحث الثالث: موقف المسلمين من أنبياء الله ورسله.

الفصل السادس: وسطية القرآن في اليوم الآخر.

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: أنواع المكذبين بالبعث.

المبحث الثاني: نظرة في نصوص اليوم الآخر عند أهل الكتاب.

المبحث الثالث: أدلة البعث والنشور.

المبحث الرابع: طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم.

المبحث الخامس: صور من عذاب أهل النار.

المبحث السادس: صفة الجنة.

الفصل السابع: وسطية القرآن في القضاء والقدر.

ويشتمل على عشرة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما.

المبحث الثاني: الإفراط والتفريط.

المبحث الثالث: ظهور بدعتي نفي القدر والقول بالجبر.

المبحث الرابع: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب القدر.

المبحث الخامس: الأدلة من الكتاب والسنة في باب القدر.

المبحث السادس: مراتب القدر وأركانه.

المبحث السابع: وسطية أهل السنة في مسألة أفعال العباد.

المبحث الثامن: وسطية أهل السنة في معنى إرادة الله ومشيئته.

المبحث التاسع: أقسام التقدير التي جاءت في القرآن الكريم والسنة.

المبحث العاشر: ثمرات الإيمان بالقدر.

الخلاصة: ودونت فيها أهم النتائج التي وصلت إليها في هذا الجزء، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي أي خطأ أو زلل وقعت فيه، إنه سميع قريب.

الفصل الأول
القرآن يقرر منهج الوسطيّة

تمهيد:

نزل القرآن الكريم هداية للناس ونوراً، يخرج به الله من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطيَّة عين الاستقامة والهداية والصراط المستقيم، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضة ترسم منهج الوسطيَّة وتدل عليه. والوسطيَّة منهج متكامل شامل غير محصور في ركن من الأركان، لا في جزئية من الجزئيات ولا في حكم من الأحكام، ولا في أصل من الأصول، فالإسلام كله وسط، وهذه الأمة هي أمة الوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ولذلك جاء القرآن مقرراً لمنهج الوسطيَّة في أبواب الاعتقاد والعبادات والحكم والتحاكم، وفي باب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الأبواب والمجالات وبياناً لهذه الحقيقة وتجلية لها، سنعيش مع كتاب الله متأملين بعض ما ورد فيه، تأكيداً لهذه الحقيقة وتأصيلاً لها، وقبل أن أشرع في الهدف المطلوب، ومعنى المنهج في اللغة وفي الاصطلاح، سأقف مع فاتحة الكتاب حيث إنها من أولها إلى آخرها تقرر هذه الحقيقة وتؤكدها.

المبحث الأول
التعريف بالقرآن الكريم

أولاً: معنى القرآن في اللغة:

القرآن من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء فهو قرآن: أي جمعته، وضممت بعضه

إلى بعض، فمعناه: الجمع والضم. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلىً قَطُّ، وما قرأت جنيناً، أي لم تضم رحمها على ولد[١].

قال أبو عبيدة[٢] رحمه الله: (... وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ (القيامة: ١٧) مجازه: تأليف بعضه إلى بعض...) ثم قال: وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (النحل: ٩٨) مجازه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع، ثم استشهد على هذا المعنى، بقول عمرو بن كلثوم[٣].

ذِرَاعَــيْ حِــرَّةٍ أدمــاءَ بَــكْــرٍ هِـجَـانِ الـلـون لـم يـقـرأ جـنـيـنـاً[٤]

أي لم تضم في رحمها ولداً قط[٥] فسمي القرآن قرآناً، لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض[٦].

ويذكر أبو بكر الباقلاني[٧]: أن القرآن يكون مصدراً واسماً: مصدراً كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ (القيامة: ١٧) واسماً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ (الإسراء: ٤٥).

ويروى عن الشافعي رحمه الله: أن القرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق: كالتوراة، والإنجيل[٨].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، مادة قرأ: (١/ ٦٥).

(٢) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة (١١٠هـ)، ومات سنة (٢٠٩هـ)، وقيل: (٢١٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥).

(٣) هو عمرو بن كلثوم التغلبي من أصحاب المعلقات السبع، ومن كبار شعراء الجاهلية. انظر: شرح المعلقات السبع (١٨٠).

(٤) انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٨٠).

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمرة التيمي (١/ ١ ـ ٣).

(٦) انظر: لسان العرب، كتاب (أ ـ ب) فصل الهمزة، باب قرأ: (١٢٨/١).

(٧) هو إمام المتكلمين ورأس الأشاعرة أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني البصري المالكي صاحب المصنفات وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة، وكان ورده في الليل عشرين ترويحة في الحضر والسفر فإذا فرغ منها كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه ويعد من أكبر الأشاعرة توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: شذرات الذهب (١٦٧/٣).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٩٨).

قال القرطبي رحمه الله: (والصحيح الاشتقاق في الجميع)[١]. أي في القرآن والتوراة والإنجيل.

معنى القرآن في الاصطلاح:

القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى، المنزل على عبده ورسوله: محمد ﷺ، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء غيره من سائر الكتب[٢]، وإضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة حقيقية، من باب إضافة الكلام إلى قائله.

ولما ظهر الخوض في صفات الله تعالى، وفي كلام الله خاصة، من قبل الزنادقة، وفرق المبتدعة، احتاج أهل السنة إلى تعريف القرآن تعريفاً يظهرون فيه معتقدهم في صفات الله تعالى عامة، وفي صفات الكلام خاصة، ومنه القرآن، مخالفين بذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

فقال أبو جعفر الطحاوي[٣] رحمه الله: وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحْياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقّاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه، فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[٤].

ثانياً: التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح

أ ـ معنى المنهج في اللغة[٥]:

المنهج من مادة نهج، ينهج نهجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، والمنهج، والمنهاج والنهج: بمعنى واحد. وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨). قال ابن عباس رضي الله عنهما: سبيلاً وسنة[٦] وهو مروي

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٩٨).
(٢) المرجع السابق (٢/٢٩٨).
(٣) هو الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي المصري، شيخ الحنفية في عصره في مصر، ونسبته إلى طحا، قرية بصعيد مصر توفي عام (٣٢١هـ) بمصر. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٧٤).
(٤) شرح الطحاوية (١٢١ ـ ١٢٢).
(٥) انظر: لسان العرب، باب الجيم، فصل النون، (٢/ ٣٨٣).
(٦) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس (١/ ٦٠).

عن مجاهد، وعكرمة والحسن البصري، وغيرهم وروي عن ابن عباس سنة وسبيلاً، ورجح ابن كثير رحمه الله التفسير الأول، لظهوره في المعنى ومناسبته[١]. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (والمنهاج: السبيل، أي الطريق الواضح)[٢] وتفسير ابن عباس الأول هو المختار.

ب ـ معنى المنهج في الاصطلاح:

المنهج هو الطريق المؤدي إلى التعريف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[٣] وبعبارة أوجز: هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال[٤]، ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، ومع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون ـ وهو الغالب ـ مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد[٧].

سورة الفاتحة تقرر منهج الوسطيّة:

إن أمّ الكتاب تقرر منهج الوسطيَّة من أولها إلى آخرها وأظهر آية فيها شاهدة بذلك هي قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ (الفاتحة: ٦) وما بعدها.

وهذه الآية صريحة في تحديد المنهج الوسط، ذلك أنها بينت أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم. قال الطبري رحمه الله: (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول الشاعر:

أميرُ المؤمنين على صِراطٍ إذا اعوجَّ الموارِدُ مستقيم

قال ابن عباس رحمه الله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ يقول ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له[٥] ثم قال: وكل حائد عن قصد السبيل وسالك

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٠).
(٢) انظر: فتح الباري، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام، (١/ ٦٤).
(٣) انظر: العلم والبحث العلمي، لحسين رشوان، (١٤٣ ـ ١٤٥).
(٤) انظر: منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى (٢٧١).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٧٣، ٧٤).

غير المنهج القويم هو ضالٌ عند العرب، لإضلاله وجه الطريق[١].

وقد بين الله لنا أن الصراط المستقيم هو منهج الوسط، حيث قال واصفاً الصراط المستقيم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧) ومنهج المغضوب عليهم يمثل التفريط، بينما يمثل منهج الضالين الإفراط، فهما منهجان دائران بين الغلو والجفاء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق)[٢].

وبهذا يتبين لنا أن هناك ثلاثة طرق: طريق الذين أنعم الله عليهم، وطريق المغضوب عليهم، وطريق الضالين، والله أمرنا بالالتزام بسبيل الذين أنعم الله عليهم، لأنه هو الصراط المستقيم، وهو منهج وسط بين سبيلين منحرفين، وهما سبيلا اليهود والنصارى، وكل طريق منحرف عن منهج الصراط المستقيم فله حظ من أحد هذين السبيلين. ولأن الاستقامة تعني الوسطيَّة، كما تبينها آية الفاتحة وكما وضحت ذلك في ملامح الوسطيَّة، جاءت الآيات متعددة تدعو إلى الاستقامة بأساليب متعددة وألفاظ متقاربة وهي تدور بين الخبر والإنشاء. ومن هذا المنطلق، وبعد أن تقرر أن طريق الاستقامة هو طريق الأمة الوسط، فإن كل آية وردت في الاستقامة فهي آية في تحقيق الوسطيَّة والدعوة إليها والآيات في هذا الباب كثيرة جدّاً أذكر بعضاً منها دلالة على المراد، وبياناً لهذا المنهج:

قال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ (هود: ١١٢) وقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (الشورى: ١٥) فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ بعد أن أمر بالاستقامة، والطغيان وهو مجاوزة الحد[٣] وهو خروج عن منهج الوسطيَّة إلى الانحراف عن السبيل.

وفي الآية الثانية: قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ واتباع الهوى خروج عن الاستقامة، وانحراف عن منهج الوسط، وتواصل الآيات في هذا الشأن ففي سورة

(١) المرجع السابق (١/ ٨٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٩).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٠٧).

البقرة: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢) وفي آل عمران: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وفي الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام: ١٥٣) وفيها: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (الأنعام: ١٦١) وفي النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ٧٦).

وفي سورة الزخرف: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ (الزخرف: ٤٣) وفي سورة الملك: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الملك: ٢٢) إلى غير ذلك من الآيات، حيث إن كل واحدة منها دالة على أن الصراط المستقيم هو الطريق الذي أمرنا باتباعه واجتناب ما عداه؛ لأنه هو طريق الحق والعدل والوسط، وما عداه طريق الضلال والغواية والانحراف عن الصراط المستقيم، وها هو الشيطان يعلن هذه الحقيقة قائلاً كما ذكر الله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ (الأعراف: ١٦) وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٣٩).

وفي سورة التكوير: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ (التكوير: ٢٦ ـ ٢٨) وهذه الآية نص في أن القرآن كله دعوة للاستقامة والسير على المنهج الحق، قال القرطبي ﴿إِنْ هُوَ﴾ (الأنعام: ٩٠) يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي موعظة وزجر: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي يتبع الحق ويقيم عليه[1].

ومما سبق يتضح لنا أن سورة الفاتحة وضعت القاعدة والمنطلق ورسمت المنهج وحددت معالمه ثم جاءت الآيات بعد ذلك مقررة لذلك وداعية له.

المبحث الثاني
وسطية القرآن في العقيدة

أولاً: التعريف بالعقيدة:

أ ـ العقيدة لغة (من العقد، وهو الربط والشدة بقوة، منه الإحكام والإبرام،

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٣٤٣).

والتماسك والمراصة والإثبات والتوثق)[١].

ب ـ العقيدة في الاصطلاح: كلمة العقيدة لم تكن موجودة في الكتاب والسنة، ولا في أمهات المعاجم، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري[٢] سنة ٤٣٧هـ في كتاب الرسالة وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول[٣].

وقد عرفها الدكتور ناصر العقل[٤] فقال: (الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع)[٥].

يشمل التوحيد والإيمان والإسلام والغيبيات والنبوات والقدر والأخبار، وأصوله الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين، والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة، والموقف منهم ومن مسميات هذا العلم، العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين.

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة تعني التكاليف العملية التي جاءت في القرآن والسنة النبوية في العبادات والمعاملات. والعقيدة هي أمور علمية يجب على المسلم أن يؤمن بها، لأن الله أخبرنا بها عن طريق كتابه، أو عن طريق وحيه إلى رسوله ﷺ وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي التي حددها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه،**

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة عقد، فصل العين المهملة (٣/ ٢٩٥).

(٢) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما، صحب أبا علي الدقاق وغيره، أخذ الفقه فأتقنه، وأخذ الأصول على ابن فورك، والأستاذ أبي إسحاق، ولد سنة ٣٧٧هـ، وتوفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣)، ترجمته رقم (٥٧٦٣).

(٣) انظر: معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد (٢٤٢).

(٤) هو ناصر عبد الكريم العقل من علماء العقائد بنجد تحصل على درجة الدكتوراه وأشرف على رسائل علمية في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.

(٥) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة (٩).

ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى»[١] فالعقيدة في ديننا هي التي تدور حول قضايا معينة، هي التي أخبرنا بها الله ورسوله، وليست اعتقاد أي شيء وحتى تصبح هذه عقيدة لا بد أن تصدق بها تصديقاً جازماً لا ريب فيه، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة[٢] والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ (الحجرات: ١٥) وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة: ١ ـ ٢) وقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾ (آل عمران: ٩) وذم المشركين المرتابين: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: ٤٥) والمسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة، وهي التي عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣) فالله غيب وكذلك الملائكة واليوم الآخر، أما الكتب والرسل فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر، ولكن المراد هو الإيمان بنسبتها إلى الله أي كون الرسل مبعوثين من عند لله، وأن الكتب منزلة من عند الله، وهذا أمر غيبي.

ثانياً: العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة

العقيدة ليست مختصة بالإسلام، بل كل ديانة أو مذهب لا بد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم، وهذا ينطبق على الجماعات والأفراد والأمم والشعوب، والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهي قسمان:

الأول: يمثل العقيدة الصحيحة، وهي تلك العقائد التي جاءت بها الرسل الكرام في أي زمان ومكان، وهي عقيدة واحدة، لأنها منزلة من العليم الخبير الحكيم العزيز.

والقسم الثاني: يشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددها، وفسادها ناشيء من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع مفكريهم وعقلائهم، وعلمهم محدوداً ومقيداً بقيود بشرية متمثلة في عادات وتقاليد وأفكار.

وأحياناً يأتي فساد العقيدة من تحريفها، وتغييرها وتبديلها، كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية في الوقت الحاضر، فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد، ففسادهما

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر (١/ ٣٨)، رقم (٨).

(٢) انظر: العقيدة في الله لعمر الأشقر، (٩ ـ ١٠).

كان من هذا التحريف، وإن كانت عقيدتها سليمة الأصل[١].

ثالثاً: أين العقيدة الصحيحة اليوم؟

العقيدة الصحيحة لا توجد إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأنهما محفوظتان لحفظ الله لهما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩) والعقائد في غير الإسلام وإن كان في بعضها قليل من الحق، فإنها لا تمثل الحق ولا تجليه.

فالعقيدة الصحيحة السليمة لا توجد في اليهودية ولا في النصرانية، ولا في كلام الفلاسفة... وإنما توجد في الإسلام في أصليه: الكتاب والسنة، ندية طرية صافية مشرقة، تملأ الفؤاد إيماناً ونوراً وحياة ويقيناً، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾ (الشورى: ٥٢) وتقنع العقل بالحجة والبرهان: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٤) وتنسجم مع الفطرة: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠).

رابعاً: ماذا تعني العقيدة؟

العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان؛ لأنه بدونها تائه ضائع يفقد ذاته ووجوده، والعقيدة الإسلامية وحدها التي تجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني، بل وتحيره من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ من الْمُوجِد؟ ما صفاته ما أسماؤه؟ لماذا أوجدنا وأوجد الكون؟ وما دورنا في هذا الكون وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ وهل هناك عوامل غير منظورة وراء هذا العالم المشهور؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة إن كان الجواب بالإيجاب؟ لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية اليوم تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة[٢] وكل من لم يعرف هذه العقيدة، أو لم يعتنقها فإن حاله لن يختلف عن حال ذلك الشاعر البائس[٣] الذي لا يدري شيئاً:

---

(١) انظر: العقيدة في الله، ص(١١).

(٢) انظر: العقيدة في الله، ص(١٢).

(٣) هو إيليا أبو ماضي من قصيدة له طويلة بعنوان (الطلاسم) من ديوانه (الجداول) (١٠٦).

جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت
ولقد أبصرت، قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقي سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى أنني أدري ولكني
لست أدري

وطريقي ما طريقي؟ أطويل أم قصير
هل أنا أصعد أم أنا أهبط فيه وأغور
أأنا السائر في الدرب أم الدرب تسير؟
أم كلانا واقف والدهر يجري
لست أدري

ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين
أتراني كنت أدري أنني فيه دفين
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون
أم تراني كنت لا أدرك شيئاً؟
لست أدري

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سويّاً
كنت محواً أو محالاً أم تراني كنت شيئاً
ألهذا اللغز حل؟ أم سيبقى أبديّاً
لست أدري... ولماذا لست أدري
لست أدري[1]

(١) هو إيليا أبو ماضي من قصيدة له طويلة بعنوان (الطلاسم) من ديوانه (الجداول) (١٠٦).

وهذا الشاعر الملحد فَقَدَ معرفة الحقائق الكبرى فأصبح في هذه الحيرة والقلق والشك والأمراض النفسية، وأين هو من المسلم الذي يدري ويعرف معرفة مستيقنة كل هذه الحقائق فإذا به يجد برد اليقين، وهدوء البال، وإذا به يسير في طريق مستقيم إلى غاية مرسومة يعرف معالمها، ويدري غايتها.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾ (الروم: ٤٠) وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦) واستمع إلى الشاعر البائس يتحدث عن الموت والمصير:

إن يك الموت قصاصاً أي ذنب للطهارة؟
وإن كان ثواباً، أي فضل للدعارة
وإذا كان وما فيه جزاء أو خسارة
فلم الأسماء إثم وصلاح
لست أدري

إن يك الموت رقاداً بعده صحو طويل
فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل
ولماذا المرء لا يدري متى وقت الرحيل
ومتى ينكشف الستر فيدري؟
لست أدري

إن يك الموت هجوعاً يملأ النفس سلاماً
وانعتاقاً لا اعتقالاً وابتداء لا ختاماً
فلماذا لا أعشق النوم ولا أهوى الحماما؟
ولماذا تجزع الأرواح منه
لست أدري

أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور؟
فحياة، فخلود، أم فناء فدثور؟
أكلام الناس أصدَقُ أم كلام الناس زور؟

أصحيح أن بعض الناس يدري
لست أدري

إن أكن أبعث بعد الموت جثماناً وعقلاً
أترى أبعث بعضاً أم ترى أبعث كلاً
أترى أبعث طفلاً أم ترى أبعث كهلاً؟
ثم هل أعرف بعد الموت ذاتي؟
لست أدري[١]

(لست أدري) تلك هي الإجابة عن التساؤلات الخالدة وليست هي مقولة شاعر فحسب، (فسقراط) الفيلسوف الذي يعد من عمالقة الفلاسفة، يقول بصريح العبارة (الشيء الذي لا أزال أجهله جيداً أنني لست أدري)[٢] بل أن اللاأدرية مذهب فلسفي قديم.

إنه الضلال: الضلال عن الحقيقة إنه الشقاء، شقاء القلب وتعاسة النفس وضياع الضمير المثقل المكدود، وكم في الحياة من أمثال هذا الشاعر البائس الضال بعضهم يستطيع أن يفصح عن شقوته وحيرته، وبعضهم يحس ويعاني وتبقى أفكاره حبيسة نفسه الشقية[٣].

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدري، يدري من أين جاء، وإلى أين المصير، يدري لماذا هو موجود وما دوره في هذه الحياة. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الملك: ٢٢) إن البشرية تخبطت في دياجير الظلام، وانتكست في مهاوي الشرك وضلت عن سواء السبيل، انحرفت عن منهج التوحيد، الذي جاءت به الأنبياء والرسل، فأصيبت البشرية في عقلها وفكرها وقلبها بالشرك وما ينبثق عنه من ضياع في المنهج والفكر والعقيدة والأخلاق، فانحرفت اليهودية عن التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام، على دراية من أحبارهم وعلمائهم ولذلك غضب الله عليهم، وأضاعت النصارى الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام فضلوا سواء السبيل.

---

(١) هو إيليا أبو ماضي من قصيدة له طويلة بعنوان (الطلاسم) من ديوانه (الجداول) (١٠٧).
(٢) الدين لدراز (٦٩).
(٣) انظر: العقيدة في الله ص(١٥).

فأصبحت البشرية في ظلمة شديدة قبل نزول القرآن وبزوغ فجر الإسلام، كانت البشرية قبل نزول القرآن تعج بركام العقائد والتصورات المنحرفة في ذات الله وفي الكون وفي الحياة وفي الإنسان وفي الموت وفي الجزء وفي الحساب وفي الكتب السماوية وفي رسل الله وفي أقدار الله وقضائه وأصبحت البشرية بين إفراط وتفريط بعيدة عن الصراط المستقيم حادت عن الوسطيَّة والاعتدال، والاستقامة فبعض البشر زعم أن الملائكة بنات الله، ثم عبدوا الملائكة كما فعل مشركو العرب، وبعضهم قالوا عزير ابن الله كما فعلت اليهود، ووصف المولى ﷻ بصفات لا تليق به من صفات النقص وشُبّه بمخلوقاته، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وشاعت بين البشرية عبادة الأصنام، إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما بوصفها تماثيل للأجداد، وإما لذاتها، وكانت الكعبة التي بنيت لعبادة الله وحده، تعج بالأصنام، إذ كانت تحتوي على ثلاثمائة وستين صنماً، غير الأصنام الكبرى في جهات متفرقة.

ومما يدل على أن اللات والعزى ومناة كانت تماثيل للملائكة ما جاء في القرآن الكريم في سورة النجم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ (النجم: ١٩ ـ ٢٨).

وانتشرت بين الناس عبادة الكواكب، وكانت قبيلة حمير تعبد الشمس وكنانة القمر، ولخم وجذام المشتري، وطيء سهيلاً، وقيس العبور، وأسد عطارد.

وقد جاء عن هذا في سورة فصلت: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧) وجاءت في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ (النجم: ٤٩) وكثرت الإشارات إلى خلق النجوم وربوبية الله سبحانه لها كبقية خلائقه، وذلك لنفي ألوهية الكواكب وعبادتها، لقد سادت الصورة الشائهة للتصورات في الجزيرة العربية حيث بلاد الشام والرومان حيث النصرانية المحرفة،

واليهودية المغضوب عليها وأصبحت البشرية شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً تعج بركام من بقايا العقائد السماوية المحرفة، ويجثم على ضمير البشرية في كل مكان، والذي كانت تنبثق منه أنظمتهم وأوضاعهم وآدابهم وأخلاقهم[١].

من ثم كانت عناية الإسلام الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التي يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية، وعلاقتها بالخالق، وعلاقة الخالق بها.. فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وعلاقتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وآدابهم وأخلاقهم كذلك، فلا يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها، إلا أن تستقر الألوهية وتتبين خصائصها واختصاصاتها.

وعنى الإسلام (في أصليه الكتاب والسنة) بإيضاح طبيعة الخصائص والصفات الإلهية المتعلقة بالخلق والإرادة والهيمنة والتدبير... ثم بحقيقة الصلة بين الله والإنسان... فلقد كان معظم الركام في ذلك التيه الذي تخبط فيه العقائد والفلسفات، مما يتعلق بهذا الأمر الخطير الأثر في الضمير البشري وفي الحياة الإنسانية كلها.

فالذي يعرف الجاهلية هو الذي يدرك قيمة الإسلام، ويعرف كيف يحرص على رحمة الله المتمثلة فيه، ونعمة الله المتحققة به، إن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها... إن هذا كله لا يتجلى للقلب والعقل، كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية ـ السابقة للإسلام واللاحقة ـ عندئذ تبدو هذه العقيدة رحمة... رحمة حقيقية... رحمة للقلب والعقل. ورحمة بالحياة والأحياء، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق[٢].

خامساً: هل تطورت العقيدة عبر الزمان؟

يرى كثير من الباحثين الغربيين أن الإنسان لم يعرف العقيدة على ما يعرفها عليه اليوم مرة واحدة، ولكنها ترقت وتطورت في فترات وقرون متعاقبة، ولا عجب أن يقول بهذا الإفك من لم يمنحهم الله كتابه الذي بيَّن فيه تاريخ العقيدة بوضوح لا لبس فيه إلا

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته (٤٢).
(٢) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، (٤٦).

أن الغريب أن يسلك هذا المذهب رجال يعدون أنفسهم ويعدهم غيهم باحثين مسلمين.

ومن أمثال أولئك عباس محمود العقاد الذي يرى في كتابه (الله) وهو كتاب يبحث في نشأة العقيدة الإلهية: أن الإنسان ترقى في العقائد، ويرى أن ترقي الإنسان في العقائد موافق تماماً لترقيه في العلوم.

يقول: (كانت عقائد الإنسان الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات، وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى)[١].

بل يرى أن تطور العقيدة لدى الإنسان كان أشق من تطور العلوم والصناعات ويقول: وينبغي أن تكون محاولات الإنسان في سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات، لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطلباً وأطول طريقاً من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التي يعاجلها العلم تارة والصناعة تارة أخرى.

ويرى أن الحقيقة الإلهية لم تتجل للناس مرة واحدة يقول: (فالرجوع إلى أصول الأديان في عصور الجاهلية الأولى لا يدل على بطلان التدين، ولا على أنها تبحث عن محال، كل ما يدل عليه أن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة في عصر واحد)[٢].

ثم أخذ يستعرض آراء الباحثين في تاريخ العقيدة، فمنهم من يرى أن السبب في نشأة العقيدة هو ضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه من قوى الطبيعة والأحياء بعضهم يرى أن العقيدة الدينية عبادة (الطوطم)، كأن تتخذ بعض القبائل حيواناً (طوطميّاً) تزعمه أباً لها، وقد يكون شجراً أو حجراً يقدسونه، إلى آخر تلك الفروض التي قامت في أذهان الباحثين الغربيين.

ومع الأسف فقد سرت هذه النظرية إلى بعض الكتاب مثل مصطفى محمود في كتابه (الله) واعتنقها جملة من الدارسين والذي أوقع هؤلاء في هذا الخطأ عدة أمور:

---

(١) العقيدة في الله ص(٢٤٣) نقلاً عن كتاب الله (للعقاد).

(٢) العقيدة في الله (٢٤٤).

الأول: أنهم ظنوا أن الإنسان اهتدى إلى العقيدة بدون معلم يعلمه ومرشد يوضح له، فما دام الأمر كذلك فلا بد أن يترقى في معرفته بالله كما ترقى في العلوم والصناعات.

ثانياً: أنهم قدَّروا أن الإنسان الأول خلق خلقاً ناقصاً غير مؤهل لأن يتلقى الحقائق العظمى كاملة، بل إن تصوراتهم عن الإنسان الأول تجعله أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

الثالث: أنهم عندما بحثوا في الأديان ليتبينوا تاريخها لم يجدوا أمامهم إلا تلك الأديان المحرفة أو الضالة فجعلوها ميدان بحثهم، فأخضعوها للدراسة والتمحيص، وأنَّى لهم أن يعرفوا الحقيقة من تلك الأديان التي تمثل انحراف الإنسان في فهم العقيدة[١].

سادساً: القرآن وحده يوضح تاريخ العقيدة

ليس هناك كتاب في الأرض يوضح تاريخ العقيدة بصدق إلا كتاب الله ﷻ ففيه علم غزير في هذه الموضوع، وعلم البشر لا يمكن أن يدرك هذا الجانب إدراكاً وافياً لأسباب:

الأول: أن ما نعرفه عن التاريخ الإنساني قبل خمسة آلاف عام قليل، أما ما نعرفه قبل عشرة آلاف عام فيعتبر أقل من القليل، وما قبل ذلك يعتبر مجاهيل لا يدري علم التاريخ من شأنها شيئاً، لذا فإن كثيراً من الحقيقة ضاع بضياع التاريخ الإنساني.

الثاني: أن الحقائق التي ورثها الإنسان اختلطت بباطل كثير، بل قد ضاعت في أمواج متلاطمة في محيطات واسعة من الزيف والدجل والتحريف، ومما يدل على ذلك كتابة تاريخ حقيقي لشخصية أو جماعة ما في العصر الحديث تعتبر من أشق الأمور، فكيف بتاريخ يمتد إلى فجر البشرية؟

الثالث: أن قسماً من التاريخ المتلبس بالعقيدة لم يقع في الأرض، بل في السماء[٢] لذا كان الذي يستطيع أن يمدنا بتاريخ حقيقي لا لبس فيه هو الله ﷻ: ﴿إِنَّ

(١) العقيدة في الله (٢٤٤ ـ ٢٤٥).
(٢) العقيدة في الله (٢٤٥).

﴿ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ (آل عمران: ٥).

تاريخ العقيدة كما يرويه القرآن الكريم:

أعلمنا الله سبحانه أنه خلق آدم خلقاً مستقلاً سويّاً متكاملاً، ثم نفخ فيه من روحه، وأسكنه جنته، وأباح له أن يأكل هو وزوجه منها كيف يشاء إلا شجرة واحدة، فأغراه عدوه إبليس بالأكل من الشجرة، فأطاع عدوه، وعصى ربه فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض، وقبل الهبوط وعده الله سبحانه بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه كي يعرف الإنسان بربه ومنهجه وتشريعه ووعد المستجيبين بالهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة، وتوعد الله المستكبرين بالمعيشة الضنكة في الدنيا وبالشقاء في الآخرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ (البقرة: ٣٨ ـ ٣٩). وفي سورة طه يقول سبحانه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ (طه: ١٢٣ ـ ١٢٦).

سابعاً: الجيل الأول كان على التوحيد

هبط آدم إلى الأرض، وأنشأ الله من ذريته أمة كانت على التوحيد الخالص كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على التوحيد والدين الحق، فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣).

وفي حديث أبي أمامة أن رجلاً سأل الرسول ﷺ قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مكلم**»، قال: فكم بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**». وذكر ابن عباس رضي الله عنهما: إن كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام[1].

ومقدار القرن مائة سنة وعلى ذلك يكون بين آدم ونوح ألف سنة وقد تكون المدة

(١) تفسير الطبري (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

أكثر من ذلك، إذ قيد ابن عباس هذه القرون العشرة بأنها كانت على الإسلام، فلا ينفي أن يكون بينهما قرون أخرى على غير الإسلام. وقد يكون المراد بالقرن الجيل من الناس قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ (الإسراء: ١٧) وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ (المؤمنون: ٣١).

* * *